المحاضرة الثالثة

1-مفهوم المحاكاة عند أرسطو(384 -322 ق.م):

كنا قد تناولنا في المحاضرة السابقةالفيلسوف اليوناني أفلاطون و كيف صاغ مبادئ نظرية المحاكاة ، والذي يعد بحق أول منظر للفن و الأدب في التاريخ . تسعى محاضرة اليوم إلى التوقف عند تلميذه أرسطو ، هذا الفيلسوف الذي يعود إليه الفضل في وضع أول كتاب نقدي في تاريخ البشرية و المعنون ب " الشعر " ، معتمدا في هذا الكتاب على آراء أستاذه لكنه مختلف عنها منذ البداية و حتى النهاية . و قد تتلمذ أرسطو على يدي أفلاطون مدّة عشرين عاما .

و لا بد من التنويه بأن كتاب " الشعر " لأرسطو قد هيمن على العقل الأدبي و النقدي الأوروبي لمدة تزيد على الألفي عام ، فقد ظل أساسا للنقد الإنجليزي و النقد الكلاسيكي التقليدي الأوروبي حتى أواسط القرن الثامن عشر ، لذلك يرى مؤرخو النقد الأدبي أن كتاب الشعر أهم مؤلف في تاريخ النظرية . كما يعد أرسطو صاحب أول جهد منهجي منظم في تاريخ النظرية .

يرى أرسطو بأن الشعر هو نوع من المحاكاة ، و هو بهذا يستخدم المصطلح نفسه الذي استخدمه أستاذه أفلاطون ، لكنه يمنحه مفهوما جديدا مختلفا عن مفهوم أفلاطون الذي كان ينظر إلى الشعر على أنه محاكاة للمحاكاة و بالتالي فهو صورة مزيفة و مشوهة عن عالم المثل أو الحقيقة الخالصة . و إذا كان أفلاطون قد عمم مفهوم المحاكاة على كل شيء في الواقع أو في العالم الطبيعي ، فإن أرسطو قد قصر مفهوم المحاكاة على الفنون فقط

هذا ، و قد رفض أرسطو رأي أستاذه القائل بأن المحاكاة نقل حرفي (أو مرآوي على حد تعبير أفلاطون في الجمهورية) لمظاهر الطبيعة . إذ يرى أرسطو بأن الأديب حين يحاكي فإنه لا ينقل فقط بل يتصرف في هذا المنقول . بل ذهب أرسطو إلى أبعد من ذلك حين قال بأن الشاعر لا يحاكي ما هو كائن و لكنه يحاكي ما يمكن أن يكون أو ما ينبغي أن يكون

بالضرورة أو احتمال . فإذا حاول الفنان أن يرسم منظرا طبيعيا مثلا ينبغي عليه ألا يتقيد بما يتضمنه ذلك المنظر بل أن يحاكيه و يرسمه كأجمل ما يكون أي بأفضل مما هو عليه .

فالطبيعة ناقصة و الفن جاء ليتمم ما في الطبيعة من نقص . لذلك فإن الشعر في نظره مثالي و ليس نسخة طبق الأصل عن الحياة الإنسانية . فالشعر يحاكي الناس كما هم أو بأسوأ أو أحسن مما هم .

2-موضوع المحاكاة عند أرسطو :

الشاعر عند أرسطو لا يحاكي الأشياء و مظاهر الطبيعة فحسب بل يحاكي أيضا الانطباعات الذهنية و أفعال الناس و عواطفهم . و الإنسان المحاكي إما أن يكون مثاليا عظيما أو أقل مستوى ، فالتراجيديا تحاكي المثالين العظام و الكوميديا تحاكي الأقل مستوى .

و أرسطو هنا يعد الشعرمحاكاة لفعل الشخصية لا للشخصية في حد ذاتها ، إذ يقول في كتاب " الشعر " : " فإن التراجيديا ليست محاكاة للأشخاص بل للأعمال و الحياة ، و للسعادة و الشقاء ، و السعادة و الشقاء هما في العمل . و " الغاية " هي فعل ما و ليست كيفية ما ، على أن الكيفيات تتبع الأخلاق ، أما السعادة أو ضدها فتتبع الأعمال . فالتمثيل إذن لا يقصد إلى محاكاة الأخلاق و لكنه يتناول الأخلاق عن طريق محاكاة الأفعال ، و من ثم فالأفعال و القصة هي غاية التراجيديات و الغاية هي أعظم كل شيء ثم إنك لا تجد تراجيديا قد خلت من محاكاة فعل ، و لكنك قد تجد تراجيديا خالية من محاكاة الأخلاق " . فالتراجيديا لا تقلد الشخصيات و إنما تقلد حركتها ، أي تقلد سعادتها و شقاءها و كل سعادة و شقاء لا بد أن يتخذ صورة من صور الحركة ، فالسعادة المطلقة أو الخير المطلق ، و هو الهدف من الحياة كما يرى أرسطو ، ليس مجرد صفة يتصف بها الفاعل و إنما هي فعل من نوع معين

3 – وظيفة الشعر

قام أرسطو بوصف آثار الأعمال الأدبية و فعلها في المتلقين ، و لم يقتصر عمله على وصف أثر هذه الأعمال في المتلقين أثناء تلقيهم الأعمال الأدبية فحسب بل حاول أن يصف أثرها بعد عملية التلقي ، فرأى أن التراجيديا تنمي عاطفتي الشفقة و الخوف لكنها تجهل المشاهدين أكثر قوة من خلال " التطهير " فعند مشاهدة تراجيديا " أوديب ملكا " مثلا ، ذلك الملك الذي انتهى إلى قتل أبيه و الزواج من أمه دون أن يعرف و حينما عرف فقأ عينيه و هام على وجهه ، فإننا– حسب أرسطو – نشعر بالشفقة على البطل التراجيدي لأن الكوارث التي حلت به لا يستحقها ، كما أننا نشعر بالخوف لأن ما حدث للبطل قد يحدث لنا . و من خلال الشفقة و الخوف تتطهر عواطفنا

فالتراجيديا تتيح لنا تصريف العواطف المكبوتة الزائدة (البكاء في التراجيديا و الضحك في الكوميديا) أي تجعلنا أكثر توازنا من الناحية الانفعالية و العاطفية . و بالتالي فإن المشاهد يشعر بالراحة و بالقوة .

– المحاكاة عند العرب :

ترجم كتاب أرسطو " الشعر " إلى العربية في القرن الثالث للهجري على يد " متى بن يونس " ، كما قام بشرحه و تلخيصه كل من ابن سينا و الفارابي ، لكن القدماء مالوا إلى أفكار أفلاطون لأن تفسيره للمحاكاة كان أقرب إلى طبيعة الشعر العربي بالرغم من هجومه على الشعر و الشعراء الذين طردهم من جمهوريته الفاضلة

فقد وافق النقاد العرب أفلاطون على أن الشعر تصوير حسّي لمظاهر الأشياء ، و خالفوه في موقفه من الشعر و الشعراء .

و في العصر الحديث قدمت لكتاب أرسطو " الشعر " ترجمات متعددة لعل أهمها الترجمة التي قدمها عبد الرحمان بدوي عام 1953 ،و ترجمة إحسان عباس 1951 و غيرهما .